

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ جلال الدين نوناني

شرف الوقت في رمضان

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا نختدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقنا ولا اعتصامي إلا بالله، وما توكلني ولا اعتمادني إلا على الله، مَنْ يهد الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا مُصلح له ولياً مرشداً، أحمده وأشكره، وأستعين به وأستهديه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، خير نبي أرسله، وأحسن الله ختامي وختامكم، وفرج عنا وعنكم، وعن سائر أمة سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ أجمعين.

أما بعد عباد الله، فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، يا رب، بك نلوذ وبك نعوذ، بك نحتمي ونكتفي، بك نعتصم ونستجير، بك نستنصر ونستغيث، لك الحمد أيها الغالب في قضائك، لك الحمد أيها الحكيم في ابتلائك، لك الحمد أيها الكريم في عطائك، لك الحمد أيها المداوم المواصل لنعمائك، أنت وليُّ في الدنيا والآخرة، توفيني مسلماً وألحقني بالصالحين، نشهد أن لا إله إلا أنت، ترى وتسمع، تُفرِّق وتجمع، تضع وترفع، وأنت العليُّ الكبير.

يا من يجود بفضله فيعمنا	من ذا يجير المذنبين سواكا
يا من له كلُّ الخلائق سُجَّدُ	صفحاً ففَيضُكَ غامرٌ ونداكا
يا من له عنتِ الوجوه جميعها	والكلُّ يسعى لائذاً بحماكا
يا من بعثت لنا الحبيب مُحَمَّدًا	معه كتابُك حافلاً بهداكا
إني سألتُك يا إلهي توبةً	فامننْ بها مكرماً برضاكا

إلهي نحن عبادك وبنو إمامك، ماضٍ فينا حكمك، عدلٌ فينا قضاؤك، نواصينا بيدك، وأنت ربنا ونحن عبادك، ولم يسأل العبادُ مثلك، ونرغب إليك ولم يرغب الخلائق إلى مثلك، يا موضع شكوى السائلين، يا منتهى حاجة الراغبين، يا ذا الجبروت والملكوت، يا ذا السلطان المنيع والعزّ، يا بديع السموات والأرض، يا قاضي الحاجات، يا رفيع الدرجات، يا منتهى الغايات، يا سامع الدعوات، يا راحم العبرات، يا غافر الخطيئات، يا قابل الحسنات، يا رب البريّات.

أغنِ كلَّ فقير، أشبع كلَّ جائع، أكسُ كلَّ عريان، اقضِ دينَ كلِّ مدين، فرِّج عن كلِّ مكروب، رُدِّ كلَّ غريب، أصلح فساد أمور المسلمين، رُدِّهم إلى عبوديتك ومحبتك، رُدِّهم إلى فطرتك وكتابك، رُدِّهم إلى دينك وإلى شريعتك.

يا رب عافِ كلَّ مبتلى، اشفِ وعافِ مرضى المسلمين، يا ربَّ الناس، يا مولى الناس، يا مالك الناس، اشفِ وعافِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً، يا ربَّ ارفع مرضانا إلى العافية، وامسح عليهم بيمينك الشافية، يا غياثنا، يا رجاءنا، يا سؤلنا، يا حسبناء، يا سيدنا، يا ربنا، يا خالقنا أدركنا بالإجابة، يا غوثنا أدركنا بالإجابة، أقلنا من عثراتنا، اقضِ حاجاتنا، عَجِّل معونتنا، اجعل إليك منقلبنا، وإلى رحمتك مستقرَّنا، يا من له حُسْنُ العوائد، نسألك حسن العواقب، يا رب ارحم موتانا، واجبر كسر قلوبنا على فراقهم، ارحم آباءنا، ارحم أحبائنا، لا تجعله آخر عهدنا بهم في الدنيا، ارحمهم مولانا، وأدخل عليهم الضياء والنور، والبهجة والسرور، وأدخلهم في أصحاب اليمين، بتحيّة بشرى سلامٍ لك من أصحاب اليمين، وفي أمان لا خوفٍ عليهم ولا هم يحزنون. واحشرهم في زمرة عبادك المقربين، في روح وريحان، وربِّ غير غضبان، وفي جنّة نعيم في ﴿جَنَّةِ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا * هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى

رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ [الفرقان: ١٥-١٦] اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفّيته منا توفّه على الإيمان، يا إلهنا وسيدنا، يا مولانا وخالقنا، إليك أنبنا،

وإلى كنفك أويّنا، وعلى فضلك اعتمدنا، وإلى عزّك استندنا، وبحصنك احتمينا، وإليك المصير.

بفضلك استجب دعاءنا، ولا تُخَيِّب رجاءنا، ولا تضرب بذلك وجوهنا، ولا تجعلنا مع النادمين، فأنت أكرم الأكرمين، أنت الحيّ الكريم، يا حيّ يا كريم، استجب لنا آمين، آمين يا رب العالمين.

أمة الحبيب الأعظم: نحن على أبواب الشهر الكريم، الشهر الجليل الكريم، المبارك المعظم، أنعم به وأكرم من شهر، شهر اختاره الله واصطفاه ليكون ميقاتاً لنزول كتبه ورسالاته، هو شهر الصلّة بين الأرض والسماء، يُنزل الله فيه كلامه، ويُخاطب فيه خلقه، ويَبِث فيه نوره، ويُوحى فيه إلى صفوة عباده، أعظم به من شهر، أكرم به من دهر.

هو مَنبَع النور، ومنطلق الرحمة، ومهبط البركة من السماء إلى الأرض، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] هو أحكم ما في الحكمة، وأبين ما في البيان، وأسد ما في الرأي، وأبدع ما في الأدب، وأقوم ما في النصيحة، هو التأمُّ الجامع لكل ذلك، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، قرآن لا يختلف، لا يتلاشى، لا ينفد لكثرة الرد، هو شريعة الإسلام، هو حدود الإسلام، وفرائض الإسلام، فيه فرائض الإسلام واحدة، ذلك دين الله الذي شرعه بذلك الكتاب المعجر الذي لا ريب فيه، هو دين الإنسانية جمعاء، الذي قال الله جل الله في علاه فيه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

كان الحبيب المصطفى ﷺ يُبَشِّر أصحابه بقدوم هذا الشهر المبارك، بكلام وكلامه يجري مجرى عمله، كلامه دينٌ وتقوى وتعليمٌ وروحانيةٌ وقوةٌ وحياةٌ بحديث أصله من ربه، إذ هو مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، حديث ربّه في تهنئة بعض

المسلمين لبعضهم في شهر الرحمت، يقول: ((قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، كتب الله عليكم الصيام، فيه تفتح أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغْلَى فيه الشياطين، فيه ليلة من خير من ألف شهر، مَنْ حرم خيرها فقد حرم)) ويأتي المدد من الرحمان الرحيم بأن يأمر منادياً يُنادي: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، فبمجرد رؤية الهلال ترى نَهضة عالية مُشرقة مباركة شاملة في أمة الحبيب الأعظم، تشمل وجوه المجتمع كله، فمن يُشبه شهر رمضان، نعم من يُشبهه شهر رمضان.

يا إخوتي: المؤمن ابن وقته، والزمن هو الوقت المفروض للعمل، والشيء الموقوت هو المحدد المربوط بزمن مقدر، أما سمعتم بقوله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] أي فريضة مكتوبة لازمة محدودة بالمواعيد والمواقيت، المؤمن ابن وقته، معنى هذا أن المؤمن يَسِير في حياته على خطة وعلى نظام، فهو يستغل كل مقدار من وقته ويؤدي كل عمل في زمنه، من دون إبطاء، من دون تسويف، من دون اضطراب، من دون تخليط، فلكل وقت أدب، ومن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، وأكثر شغل العاقل الحاذق اللبيب بما يُوجبه عليه الوقت، ماذا أوجب الله عليك في وقتك هذا الذي هو أولى به فيه؟ ولو نظرنا لوجدنا - يا إخوتي - أن الحياة أنفاسٌ تتردد وتتعدد، وآمالٌ تضيق إن لم تتحدد، ودقات قلب المرء في صدره تُشعره في كل لحظة من لحظات حياته بأن الدقائق وأن الثواني التي تمر به وهي متوالية متتابعة وهي تُحاذيه تتعرض له مُتزيّنة مُتهَيّئة قائلَةً له: هيت لك، ها أنا ذا بين يديك، فإن أقبل عليها وحرص عليها انتفع بها واستفاد منها، فلم يضُرْه ما أغلق من قبل بعد إذ أكرمه بعد ما فُتح له من بعد، من الخير، من النفعات، من القربات، من العطيات، وإن غفل عنها حتى تمر تلك الساعات وتلك الدقائق والثواني فإنها تفر ولا تعود، وتُخلف من وراءها حسرة عليها، وندامة من أجلها، ولات حين مندم.

فنعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس، هم محرومون ومغبونون وفي حسرة وهوان،
النعمتان هما: الصحة والفراغ مغبون فيهما كثير من الناس، لأن الناس إذا توافرت
لهم الصحة وامتد لهم حبل الفراغ ولم يُحسنوا استخدام صحتهم في العمل المبرور
والسعي المشكور، ولم يشتغلوا بالصالحات وأكل الطيبات، فقد باؤوا بالفشل
الذريع، باؤوا بالخسران المبين، وقد حث سيدنا رسول الله ﷺ أمته، حث كل مسلم
أن يبادر إلى استغلال وقته وإلى استغلال صحته فيما يفيد ويدخره عند ربه،
فينفعه ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:
٨٨-٨٩] فقال سيد الإنسانية معلم الوجود الذي لا ينطق عن الهوى، قال نصيحة
نبوية غالية ظاهرة جلية، في أعظم وأقوم قول، حين يتذكر واحدنا أن الحبل الممدود
أمامه، ولا يدري متى ينقطع هذا الحبل، ولا يدري إلى أين يمتد ويتسع، ويعي ما قد
قاله حبيبه ونبيه وأستاذه الحبيب الأعظم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]
اغتنم، اظفر، اربح غنائم من دون مشقة، قبل أن يُحال بينك وبينها بعوامل
جحودك وكسلك، وفوات الفرص المتاحة لها، من فوات وقتها وجمالها وساعاتها
ونفحاتها وبركاتها وهيئتها، فقال: اغتنم حياتك قبل موتك، قبل أن ينزل بساحتك
الموت، فما بعد الموت من مُستعجب، اغتنم صحتك قبل أن ينزل بك السقم،
فالمرريض وصاحب الحاجة تبطل عنه التكاليف والسنن، وتسقط عنه مجالس القرب،
اغتنم فراغك قبل أن ينزل بك الشغل الذي لا بد منه، وقد عرفت ربي ينقضه
للعزائم، اغتنم شبابك قبل أن ينزل بك الهرم، ذلك الداء الذي لا دواء له، اغتنم
غناك قبل فقرك، فمن أته العلل والسقم وأتاه الشغل والهرم، ونزل به ذلك
واستحكم، فذلك هو أفقر الفقر إذا كان مُضيعاً حقيقة ما حُلق من أجله، فقد
أضاع حقيقة ما حُلق من أجله، مفرطاً بمقاله وبهيئته عند ربه، فكيف يلحق وكيف
يستدرك والحبيب يقول اغتنم، اغتنم قبل أن ينزل بك كذا وكذا، وقد قرّع قول
مولانا سبحانه وتعالى الحق، قرع أسماع الحق وقال: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ

غَدًا ﴿ من خير أو شر، من وفاق أو شقاق، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾
أَتَدْرِكُ مرادها أم يفوتك، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

وإذا أمعنت النظر - يا أخي - في سنة حبيبك المصطفى، فستراه بعين بصيرته وهو يأخذ بمنكبي ابن عمر، يَهْزُهُ بهما، يهز كيانه بهما، يَدُلُّهُ على الطريق حتى يلتزم الطريق ولا يدعه، قائلاً له: ((يا ابن عمر، كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)) عُدَّ نفسك من أهل القبور، وإذا بابن عمر يَهْضُمُ تلك الموعظة، وتَحُلُّ تلك الموعظة في قلبه وفي عقله وفي صدره نوراً، تحل حكمة وعلماً، لا ينصرف عنها، بل يريد أن ينتفع منها سواه، فخطب المسلمين على مدار هيئة الزمان، وقال لهم: يا أيها المسلمون، فيما معنى قوله اسمعوا صوت الحبيب على لساني، لعل موعظته تنزل أسماعكم تنزل قلوبكم وتعملون بها، كالغريب وعابر السبيل لا بد أن يعود لوطنه وإلى داره، عُدَّ نفسك من أهل القبور، فقال مَنْ فهم علم النبوة ومن فهم نور النبوة: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء) ومن كان كذلك فقد استبرأ لنفسك، من كل الحقوق الملقاة على عاتقه، ومن المساءلة عليها، ومن عجب الدنيا أَنَّ أشياء كثيرة قد تَتَفَلَّتُ من يد الإنسان ثم تعودُ إليه بعد زمنٍ طال أم قَصُر، مثال ذلك المال يَغْدُو ويروح، والصحةُ تعتل ثم تَقْوَى، وأحوالنا في الدنيا نفقدها تارة ثم تعود.

ولكنَّ الوقت هو الشيء الوحيد الذي لا يمكننا، لا يمكننا استرجاعه ولا استرداده بأي حال من الأحوال، فمتى مَرَّ الوقت وضاع ضاع وشبع ضياعاً، فليس إلى عودة ذلك سبيل، إذ كيف يعود الوقت، فما من يوم يَنْشَقُّ فجره وتُشرق شمسُه إلا ويُنادي ابن آدم: (يا ابن آدم، أنا يوم جديد، أنا خلق جديد، وأنا على عملك شهيد، فاغتنمني - تزود مَنِّي - فإني إن مضيتُ لا أعود إلى يوم القيامة) فالوقتُ إذا فات لا يُستدرك أبداً، وليس أعزُّ علينا من الوقت، فهو حقيقة رأس مالنا، فإذا عاش المؤمن في وقته واشتغل بالطيب من القول والعمل، وعَمَّر وقته بالخير،

واستوعب الانتفاع به راضياً بحاضره قائماً على أوامر ربه، مسارعاً للخيرات كان في حال كمن قال وهو يتقلب في نعيم حلاوة الإيمان وفي نور القلب وفي ثراء الروح وفي نقاء الفؤاد وفي صفاء الذهن: لو يعلم ملوك الدنيا ما نحن فيه من نعيم لجالدونا عليها بالسيوف، فما مضى فات، والمؤمل غيب، ولنا الساعة التي نحن فيها.

معشر الإخوة: نحن على أبواب شهر الرحمة والمغفرة والعنق من النيران، وزمانه ووقته محدود، فما إن يأتي حتى يشد الرحيل سريعاً، ويمضي كما مضى شعبان، ومن قبله رجب، ولو يعلم العباد ما في رمضان من الخير لتمنت الأمة أن تكون السنة كلها رمضان.

وقد تعارف الكثير الكثير من الناس على أن يتخذوا من شهر رمضان شهراً للتراخي، شهراً للكسل، شهراً للتخفف من الجد والاهتمام في العمل، وإظهار التأفف والضجر، والتسمر أمام اللهو وأنواعه، بإفساد الشهر، وإفساد بركاته، وإفساد الصوم والصيام، وكأن ذلك من الواجبات اللازمة التي لا يمكن الانفكاك عنها، وكأنها من لوازم عدّة رمضان، مع أن رمضان في تاريخ إسلامنا وصدر ديننا شهر جد واجتهاد وجهاد، بل نستطيع أن نسميه شهر الأبطال، شهر البطولات، بطولة اليقين والإيمان، بطولة المسارعة في ميدان الخيرات، بطولة التأبي على الشهوات، بطولة الترفع عن خسيس الملذات، وبطولة الصراع في الميدان، يعلم الناس في شهر رمضان -يا إخوتي- التطلع إلى السمو وإلى العلا، وما عند الله خير وأبقى.

وما زال شهر رمضان على توالي الزمان شهراً للقرآن، يعكف المسلمون فيه على كتاب ربهم أكثر من ذي قبل، يناجون ربهم ويتأملون كلامه، فيوحي إليهم بخير القدوة وأفضل الأسوة.

في رمضان يا إخواني كانت غزوة بدر، أول معركة وقعت في الإسلام بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر، نعم حدثت في رمضان، ثبتت فيها قلة مؤمنة أمام كثرة باغية، زانوا شهر الصيام بأفضل ما تزان به الأيام، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، وسماه الله في كتابه يوم الفرقان، كان ذلك في رمضان.

وفي رمضان أيضاً كان فتح مكة، انتصف المسلمون لأنفسهم، وعلى رأس المسلمين سيدنا ومولانا محمد، واستردوا ما أخذ منهم، ليعودوا إلى وطنهم، الوطن الغالي الحبيب، بعدما أخرجوا منه ظلماً وجوراً وعدواناً.

وطهره رسول الله طهر البيت الحرام من الشرك والكفر، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، كان ذلك في رمضان.

فقد صدق الله وعده، ومن صدق الله صدقه الله، فقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، والأخيار من عباد الله يعرفون في الصوم كيف يصومون، إذا نزل في الصوم يعرفون أولئك الأخيار كيف يصومون، كيف يصومون عن سيئات معنوية وخلقية ونفسية، فيقولون: إذا صُمتَ ليصم سمعك، ليصم بصرك، ليصم لسانك عن الكذب، عن محارم الله. يقولون: دع أذى الجار، وليكن عليك وقارٌ وسكينة.

نعم المؤمن ابن وقته، يجب أن يحسن الشعور فيه، يجب أن يُحسن السعي فيه، وأن يأخذ منه كل ما يستطيع من فائدة، ولو عاش المؤمن في وقته حقاً فعمره بالتفكير السليم، بالقول السليم، بالعمل العظيم، بالتصرف القويم، وذلك منتهى الخير، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم، فيا فوز المستغفرين.

بتصرف

